

## التنظية ..

### نهلة الجمزاوي\*

#### المنظر

المسرح مظلم تماماً، من خلال الظلام الدامس تنبعث أصوات الضربات على أزرار الكمبيوتر، صمت يخيم على المكان. تُفتح الإنارة على ظهر رجل يجلس على كرسي أمام جهاز كمبيوتر، ويواصل التكبيس على أزرار الجهاز، ثم يضرب بعنف على أحد الأزرار، فيحدث دوي هائل وكأنه انفجار لقنبلة، يليه صرخات مدعورة ثم بكاء أطفال وعويل نساء. يسمع صوت ضربة أخرى على أحد الأزرار، فيسمع أزيز طائرات يليه صوت انفجار آخر أشد. يتعالى الصراخ وتتمازج أصوات انفجارات متتالية مع الصراخ المنبعث من شتى أرجاء المسرح.

تتعالى ضحكات هستيرية من الرجل الجالس خلف الكمبيوتر، يليها تصاعد لأصوات أنين ونشيج وبكاء أطفال. الرجل الجالس على الكرسي مستمر في الضرب على أزرار الكمبيوتر، وعند كل كبسة تظهر على خلفية المسرح «سلايدات» لصور تتحدث عن مخلفات الحرب ودمارها.

يستدير الرجل الجالس على الكرسي نحو الجمهور، اظلام كامل للمسرح ومسقط ضوئي باللون الأحمر يستقر على وجه الرجل. الرجل: (وهو يصرخ بصوت عال ينم على الغطرسة والشرو): «لا صوت يعلو فوق صوتي». يرفع يده ملوحاً، تنز من يده وتشققات أصابعه الدماء وتبدأ بالتساقط على الأرض.

يتحول وجهه إلى اللون الأصفر، مسقط ضوئي أصفر، على وجهه فقط، يتطلع ليده القابضة على بقايا الدم المتساقط منها ثم يطلق ضحكات هستيرية يردّد:

«لا صوت يعلو فوق صوتي»

إظلام كامل للمسرح . .

يرتفع صوت أنين لطفل يرافقه كلب مبحوح، عواء الكلب ما زال مستمراً، وكأنه يلتصق بأذني الرجل الجالس على الكرسي، فيشعر بالصرير يأكلهما، الرجل يحاول إغلاق أذنيه. العواء يتصاعد في رأسه. صدى الأنين والعواء المبحوح يمتزجان.

تظهر على أرضية المسرح أكياس بيضاء كأنها تتحرك باتجاه الرجل الجالس على الكرسي. . يهرب بذعر ويختبئ خلف الكرسي. تخفت الأصوات تدريجياً يصاحبها خفوت في الإنارة إلى أن يعم إظلام كامل للمسرح.

#### المنشهد الأول

بناية على طول خلفية المسرح، تتكون من جزأين أعلى أسفل الجزء الأسفل يحتوي على عدد من الأبواب المتقاربة، فيما

يحتوي الجزء الأعلى على عدد من الشبايبك تتصدر واجهته .  
تحت البناية نخلة شاهقة ترتفع باتجاه الشبايبك شبه مضاءة ،  
فتبدو واضحة الشظية التي اخترقت وسط جذع النخلة ونفذ  
نصفها الآخر من جهة الجذع الآخر . البناية المقترحة ممكن أن  
تمثل أي شيء حسب رؤية المخرج .  
نشاهد (خضير) وهو يقف تحت النخلة مباشرة ويتطلع إلى  
الأعلى ، وينظر باتجاه النافذة شبه المضاءة .  
خضير : (منادياً بصوت مرتفع) شمس . شمس . شمس . أين  
أنت يا شمس؟  
شمس : (بعد أن تزيل بيدها ستارة الشباك وتطل برأسها عليه  
بضجر) من؟ خضير - ماذا تريد؟  
خضير : أنا . أنا . أتيت .  
شمس : وماذا يعني أنك أتيت؟  
خضير : أنا خضير . . ألا تفهمين . . أجل أنا خضير أيتها  
الشمس العظيمة . . خضير بعظمته وجلاله وبهائه الكوني  
يأتي إليك يا شمس يبحث عن الدفء لديك .  
شمس : (وهي تتفقد وجهها بيدها) آه . . نعم . . نعم . .  
لم أزل أتقد ، لقد أشعلوا النيران في جسدي (تتلمس  
وجهها ، وأكتافها بحركة ذعر سريعة ثم تصرخ) آه . . لقد  
أحرقوني . . أحرقوني (تجهش في البكاء بصوت عال) .  
خضير يحاول تسلق النخلة فيسقط على الأرض . يدور  
دورتان بشيابه البيض ، فيبدو كالشبح . شمس تطلق ضحكة  
قوية خضير يصرخ يدخل أربعة أشخاص يرتدون نفس الثياب  
التي يرتديها خضير يرفعونه عن الأرض من أطرافه الأربعة ،  
ويلقون به نحو إحدى زوايا المسرح . من داخل بناية المستشفى  
تنطلق توجعات وتأوهات وأنين ، تليها ضحكات هستيرية ،  
تسحب شمس بعد أن تغلق وراءها النافذة وتطفئ الضوء ،  
المسرح مظلم/ فقط . . مسقط ضوئي على الأشخاص  
الأربعة وهم يحيطون بالنخلة ، فيما يضع نعيم صرة مدلاة  
من طرف عصا على ظهره .  
عباس : (يضع يده على صدره ، ويتراجع خطوتين إلى  
الخلف صارخاً) : آه . . آه . . آه . .  
نعيم : ما بك؟  
عباس : تؤلمني .  
نعيم : من هي؟

عباس : يشير بيده نحو النخلة .  
نعيم : (ضاحكاً) الشظية؟ إنها في جسد النخلة وليست في  
صدرك .  
عباس : لكن الدماء تسيل من صدري . . . أنظر . . .  
(يكشف عن صدره بعنف) أنظر ألا ترى مكان الشظية؟ ألا  
ترى الدماء المتسربة من بين ثنايا جسدي؟ إن دمي يغرق  
ملابسي . .  
مسقط ضوئي على صدره وجسده باللون الأحمر ، فلاحظ  
وقد تحولت ملابسه إلى لون أحمر ، يدور حول نفسه أكثر  
في دوره ويصيح : ألا تراني أغرق في دمي . . . آه . . .  
آه . . . النجدة . . النجدة . .  
نعيم يتحسس صدره ثم يتركه ويذهب نحو النخلة  
يتسلقها . . يتحسس الشظية ، مسقط ضوئي أحمر ينزل  
على جذع النخلة . الصراخ يتصاعد من عمق المستشفى : «إنَّ  
إصابته بليغة جداً» . يتحسس الشظية ثانية ثم يبدأ بتحسس  
جذع النخلة حتى يصل إلى جذورها ، وبعد أن يستقر على  
الأرض يرفع رأسه لينظر باتجاه رأس النخلة ، ويسحب يديه  
ويضم بهما وجهه ثم يبكي بحرقة . يلتقط صرته من فوق  
الأرض ويضعها على كتفه .  
خضير : (مستيقظاً) ما هذا . . ؟ (وهو يتجه نحو نعيم يبحث  
في جيوبه بعنف) : أين نخلتي؟ أين خبأتها؟ أين تريد  
الذهاب بها؟  
نعيم : إلى البحر .  
عباس : إنه مشتعل .  
نعيم : سأعتاد الإحترق .  
عباس : إنه خائق .  
نعيم : سأستبدل رثتي .  
عباس : وجراحك؟  
نعيم : سيجففها الاحترق .  
عباس : وجراحي أنا؟  
نعيم : تعال معي لتطفئها في البحر .  
عباس : (يصرخ بذعر وهو يركض نحو النخلة) لا . . .  
لا . . . لا . . . جراحي لا ترمم إلا بهذا الوجع المدفون هنا  
(وهو يضرب بكفه على جذع النخلة) .  
نعيم : إذأ . . أنا ذاهب إلى البحر .

النخلة . . يسقط على الأرض . . تسقط على يده بقعة ضوء حمراء كلون الدم . . يتحسس بكلتا يديه جذع النخلة وبدع شديد . . يضع أذنه على جذورها . . نستمع إلى دقات قلب تأتينا عبر مؤثر صوتي . . ينتصب مبتسماً وهو يتنفس الصعداء) .

خضير : إنها ما زالت قوية وقلبها ينبض . . . (يتلفت نحو جهات المسرح ثم يصرخ) شمس . . شمس أين أنت يا شمس؟  
أصوات تأوهات وأنين وتوجع يأتينا من داخل مبنى المستشفى .

- اظلام -

## المتشهد الثاني

تفتح الإنارة على ذات الديكور، يدخل عباس بملابسه البيضاء فيما يكون نعيم ساندراً رأسه إلى جذع النخلة ويضع يده على خده وهو طارق الرأس إلى الأرض .  
عباس : (بصوت منخفض) نعيم . . نعيم . . نعيم . . (ثم فجأة يشاهده) : هاه . . ماذا تفعل هنا يا نعيم؟  
نعيم : أنتظر القطار .

عباس : (تفقد الأرض ببصره وقدميه) ولكن لا توجد هنا سكة للقطار .

نعيم : أنني أنتظر قطاراً مشي على التراب . . قطاراً له جناحان (ينهض ويفرد ذراعيه ويبدأ بالدوران حول نفسه) : أريد قطاراً مليئاً بالأوكسجين (يأخذ شهيقاً ويطلق زفيراً وهو ما زال يدور حول نفسه . . يتصاعد لهائه . . يتحسس رثتيه يصرخ بصوت متحسرج) : أنا أختنق . . أختنق يا عباس . . أين القطار؟ . أين القطار؟ (يسقط من التعب والعرق يتصبب من جسده، يزحف باتجاه النخلة ويسند ظهره عليها ويبدأ باستنشاق الهواء) ياه . . يا عباس . . (ثم يبكي بحرقه) .  
نعيم : (وهو يتحسس صرته) إنها مليئة .

عباس : (يدس يده في صرة نعيم ويخرجها، نشاهدها وقد امتلأت بالدم) أما زال الدم يتدفق من صدرك؟  
نعيم : ألم تر أن الشظية ما زالت نائمة فيه؟

خضير : لن نسمح لك أبداً، لن ندعك ترحل قبل أن تتعافى النخلة من وجعها . . (وهو يدور حول نفسه فيصرخ من أعماقه « شمس . . أريد أن أصعد إلى شمس . (يحاول تسلق النخلة من جديد وهو ما زال يصرخ) : شمس . . شمس . . شمس (يأتي من داخل بناية المستشفى أنين، وتوجع وصراخ) .

(يحل إظلام جزئي فيما يسقط ضوء على نافذة شمس . . نشاهد شمس وقد أطلت برأسها من النافذة .

شمس : ما بك؟

خضير : أنا . . أنا خضير العظيم .

شمس : وماذا يعني خضير؟

خضير : خضير العظيم .

شمس : خضير . . يخال لي أنني رأيتك تعدو فوق الماء؟

خضير : أجل قلب يا شمس . . أي والله . . قلب نابض وجريح . .

شمس : بل قلب جففته النار .

خضير : لا يا شمس ما زال يحتفظ بدم حار .

شمس : أما أنا فقد أخذوا دمي كله ووزعوه على أسمائهم .

خضير : (بالم) آه لقد رأيت معلقاً على صدورهم بل أقول لك على جسر المعلق . . سقط الجسر وبقي دمك معلقاً بالهواء .

شمس : لم أكن أعرف قبل الآن أن دمي يعيد لنياشينهم العسكرية فحولتها التي فقدتها في معارك سابقة هناك في الأحرش البعيدة حيث داست عليها أقدام أشعار هوشية منه . . وابتلعها مياه جزيرة فوكلاندا .

خضير : شمس . . تعالي إلي . . مديني بالدفء، فبقايا دمي يتوق لرذاذ شعرك المحترق .

شمس : (تصيح) دعني . . دعني وشأني .

(مسقط إضاءة أصفر على وجهها . . ويبدو الوجه كوجه ميتة وهي تتمتم) : أريدك أن ترمي رأسي من هذا الدوار (وهي تمسك برأسها وتصرخ) الدواء . . أرجوكم الدواء . . الدواء . . الدواء أين الدواء؟ (وتنسحب من النافذة أثناء ترديدها للكلمة الدواء) .

خضير : (متشعباً بجذع النخلة) شمس . . شمس . . شمس . . شمس . . ردي علي يا شمس . . (يحاول الصعود إلى جذع

عباس : يا لها من طعنة خبيثة وغادرة .  
نعيم : الجراح عميقة يا عباس .  
عباس : والينايبع لا تجف . . وإني لأراها معلقة في السماء  
تدفع للمطر زخاتة . . أي أرض هذه التي تحمل على ظهرها  
أسباب النار وتشق الطريق دون أن تلتفت ولو لحظة للحريق  
الذي يتربصها؟  
نعيم : الشظية يا عباس .  
عباس : إنها هدية السماء، أتعرف أن بعض الهدايا تطهر  
الجسد!!  
نعيم : (يضيف) والروح .  
عباس : أجل والروح . . ولكن الشظية تؤلمني يا نعيم، أما  
زلت تحس بوجعها أنت؟  
نعيم : تعال لنذهب سووية . . إني راغب بمصاحبتك .  
عباس : (يصرخ فيه بجنون) لا . . لا . . (ثم يركض باتجاه  
النخلة ويحتضنها).  
نعيم : (وهو ينهض من مكانه ويضع صرته على كتفه) أما أنا  
فذاهب بعيداً عنك .  
خضير : (وهو داخل من أقصى عمق المسرح) لا . . لا يا  
نعيم . . لن أدعك تذهب قبل أن ننزع الشظية من جسد  
النخلة . .  
نعيم : (يضرب بيده على رأسه ويصرخ) النخلة آه النخلة .  
(ثم تبدأ الإنارة بالخفوت وتنحصر كلياً في بقعة تسلط على  
خضير فيما يغادر عباس ونعيم المسرح).  
خضير : (وهو يدور حول النخلة) النخلة . . آه يا شمس . .  
شمس . . أين أنت الآن يا شمس؟  
(بضيء الشباك تطل من خلاله شمس - برأسها)  
شمس : من أنت؟ ماذا تريد؟  
خضير : أنسيت . . أنا خضير العظيم .  
شمس : (ضاحكة) العظيم! هه . . هه .  
خضير : حتى أنت يا شمس؟  
شمس : وهل تركوا مكاناً لطيور العظمة تحط فيه على  
أكتافك؟ لقد أفرعها نعيم الغربان . (تنظر إلى السماء  
وتصرخ) الغربان . . لقد جاءت من كل مكان . (مؤثر لصوت  
طائرات/ قصف/ أصوات لضرب مدافع . . تصرخ شمس)  
آه . . إنها قادمة (ثم تخفي رأسها) .

خضير : (وهو يحتضن النخلة) لا يا شمس . . لا تخفي  
رأسك . . إنها مجرد سحابة سوداء، حالاً ستكنسها الرياح .  
شمس : (تخرج رأسها ببطء وحذر): عماذا تتحدث  
أنت؟ . المكان أكلته من قبل النار .  
خضير : ذؤابات النار لم تأكل جمال أساورك يا شمس لأنك  
الذهب المشع والعتيق .  
شمس : (تتحسس وجهها) أنا؟  
خضير : نعم أنت .  
شمس : (تخرج امرأة من جيبيها وتنظر لوجهها ثم تطلق  
ضحكة عالية وتبدأ الغناء)  
«من قطار العمر  
مر وجزاني وراح  
والشيب فوق الزلف  
فضة عرايس لاح»  
(وبعد انتهاءها من الغناء، تمسك بنخلة من شعرها، وهي  
تخرج شعرة بيضاء من بين شعرات الخصلة): ياه لقد سرقت  
الغربان سواد شعري .  
خضير : إني أرى أن هذا التاج الفضي يجمل هامتك وأنه  
ليلمع كالسيف المصقول، ليحكى حكاية تلك الغيمة السوداء  
التي حاولت الصعود إلى شمسك .  
(يدور حول نفسه، وهو يمد ذراعيه إلى الأعلى صارخاً): يا  
ناس . . يا عالم، من منكم رأى غيمة تحاول إطفاء الشمس  
برذاذها الباهت . . ؟  
شمس : (مبتسمة وهي تمسك برأسها) والألم يا خضير، أين  
الهروب منه؟ . أريد الدواء . . أين الدواء؟ لقد جئت لأبحث  
عن دواء يرمم بقايا رأسي : (تحسس رأسها ثانية) لماذا أشعلوا  
الحرائق في جسدي؟ الحريق . . آه الحريق . . إني أراه قادماً  
(تصرخ وتختفي).  
(تتعالى أصوات من داخل المستشفى يصلنا أنينها وصراخها  
الممزوج بصوت أزيز الطائرات).  
خضير : (يحاول تسلق النخلة وهو يتحسس الشظية  
المغروسة في الجذع، ثم يسقط على الأرض وينظر إلى يديه  
الملتئتين بالدم ويصرخ) شمس . . شمس . . أين أنت يا  
شمس؟  
(تفتح الإنارة على ذات الديكور)

عباس : جراحك ستحرقه وستسقطان أنتما الإثنين كومة من رماد وشظايا .

نعيم : (بثورة) قلت لك ، إن الذي يهمني هو أن أضغ إصبعي على فوهة بندقية الألم لأوقفه . . هذا الذي يهمني الآن . . .  
عباس : الألم يتضاعف يا نعيم .

نعيم : سأتي بمجرفة وأحفر له قبراً في أرض الذكريات وأدفنه .

عباس : الذكريات؟ وهل تظن أن مقبرة كهذه المقبرة تدفن شيئاً؟

نعيم : سأتركه هناك على ترابها ينزف حتى يموت  
عباس : (باعتراض) لن تستطع أن تفعل ذلك يا نعيم .

نعيم : سأحاول . .

عباس : والشظية؟ أنسيت الشظية؟

نعيم : (ينظر إلى أعلى النخلة ويصرخ) سأحملها بقلبي أينما حللت .

عباس : (وهو مسك ب صدره) ووجع النخلة؟

نعيم : سأحمله معي .

عباس : الريشة تعطي ساقها لأول ريح تدفعها . . هل أنت ريشتها يا نعيم؟

(نعيم ينظر إليه باستهجان واستخفاف) .

عباس : ومجنون أيضاً .

نعيم : (يتحسس رأسه) أنا؟

عباس : نعم أنت .

نعيم : (تند عنه ضحكة مكتومة) إن بقيت أكون كما وصفنتي ، سأرحل وأترك لك الاحتراق .

عباس : لا . . أرجوك لا تفعلها .

نعيم : (بإصرار) قلت لك سأرحل .

(يدخل خضير بشكل هستيري وهو يصرخ فيهما) .

خضير : لا . . قلت لك ألف مرة لا . . لن ترحل قبل تغادر الشظية صدورنا . (وهو يشير إلى جذع النخلة)

نعيم : (بيأس) الشظية . . آه . . يا ويلى . .

عباس : (يتحسس صدره) إنها تؤلمني كثيراً ، كلما تحركت أشعر بوخزاتها ومن ثم يتدفق ألم عظيم في جسدي .

خضير : (بصوت هادئ وهو يسند رأسه إلى النخلة) وتؤلم شمساً . . شمس . . أين أنت الآن يا شمس؟

عباس : (وهو يفتش عن نعيم) أين أنت يا نعيم؟  
نعيم : (وهو ما زال متكئاً على جذع النخلة) ما زلت أسند رأسي إلى جذع النخلة . . حيث لا رأس لي بدون رائقها .

عباس : (لم يسمعه ولم يره) أخشى أن يكون قد أطلق ساقه نحو البحر . . آه يا نعيم أين أنت؟ . أين أنت؟

نعيم : ألم تسمعي . . قلت لك ما زلت متكئاً على النخلة كريح هاربة . . ريح يبيلل أحداقها الظماً ويملاً مسامعها الصفير ، ريح لا تستقر على حال من شدة القلق الذي يتجاذب رداءها .

عباس : لكنك ما زلت واقفاً على تربة خصبة .

نعيم : لقد دفعوا نحو مسامعتها أفواجاً من الأملاح المحرقة ، حتى وصلت المرارة إلى شفتي فشققتهما ، ومضت دون أن تترك خلفها حتى قطرة ندى واحدة .

عباس : ألا ترى أن الغيث قادم؟

نعيم : عن أي غيث تتحدث والسماء من حولك مطوقة من جهاتها الأربع . . لا غيث يا عباس يأتي إلا بصعودنا نحو السماء ونحن نحمل معنا فؤوساً ومجارفاً لكي نبقر بطنها ، حينذاك سيسقط المطر .

عباس : (وهو يشير إلى الأرض) بل هنا يا نعيم . . هنا تقطن الغيمات الممتلئة بالحياة .

نعيم : (ضاحكاً) هنا . . .؟ غيمات؟ لا شك أنك مجنون! .

عباس : (يتحسس رأسه) مجنون؟ لا . . لا . . هم الذين سرقوا بقايا رأسي . أين رأسي؟

(ينظر إلى أعلى النخلة يتحسس جذعها ويصرخ) ربما وقعت رأسي هناك في أعلى النخلة ، سأصعد لأفتش عنه (وهو يحاول الصعود إلى النخلة) .

نعيم : (بغضب) إلى جهنم . . إني ذاهب إلى البحر لأبحث عن رأسي هناك .

عباس : (هازئاً وهو يقلده) مجنون . . يذهب إلى البحر . . هي هي . . رأسه هناك . . لا يا مجنون ، كيف أنت هنا قربي ورأسك في البحر (ثم يتذكر) آه رأسي أنا . . لأصعد إلى النخلة أبحث عنه قبل أن يسقط فأموت .

نعيم : (يتوقف . . إلى الجمهور) بربكم هل هذا عاقل؟

عباس : (صارخاً فيه) قلت لك البحر محترق .

نعيم : (بغضب) لكنني سأرمم احتراقاته بجراحي .

- إظلام -

### المتشهد الثالث

(تفتح الإنارة، يدخل عباس وهو يدندن إحدى الأغاني الشعبية، نعيم يدخل خلفه خلسة، يقترب عباس من النخلة ثم يجلس تحتها).  
نعيم : أما زلت جالساً هنا؟ ماذا تنتظر من جلوسك؟ أعتقد أن الرطب سيتساقط عليك؟  
عباس : (متنبهاً) هذا أنت؟ أليس الرطب ألد من حصى البحر الذي تريد أن تسد به معدتك؟  
نعيم : (يشير بيده) الحصى هناك.  
عباس : (باستهزاء) في البحر؟  
نعيم : البحر مليء بالأسماك.  
عباس : الأسماك ستأكلك.  
نعيم : بل أرمم فيها عظامي.  
عباس : أخشى عليك من جوعها.  
نعيم : ليس كل لحم صالح للضمم يا عباس . . . إن لحمي يحمل اسمي . . . (محذراً) لا تنسى ذلك يا عباس .  
عباس : تذكر أنك حينما ترحل سوف لا تأخذ معك غير كومة من لحم . . . وستترك خلفك اسماكاً معلقاً على هذه النخلة.  
نعيم : (يسند رأسه إلى النخلة) النخلة؟ . . . آه أيتها العظيمة سأحملك في صدري أينما ذهبت .  
عباس : النخلة لا ترحل .  
نعيم : (بحيرة) سأرحل من غير اسم إذاً؟  
عباس : ستضيع يا نعيم .  
نعيم : سوف أتزود بأحلامي . وأرحل متنكراً .  
عباس : ألا تشاهد أن غبار النخل يملأ وجهك ورائحته تنبعث من بين ثيابك .  
نعيم : سأرتدي وجه البحر .  
عباس : (بغضب) أنت . . .  
نعيم : (يقاطعه) لا . . . لا يا عباس لا تقلها (يجهش بالبكاء) الألم وصل حداً لا يطاق . . . إنه أثقل ساقبي وتكاثر كالدود على وسادتي وذراعي .

ينسحب عباس ومن وراءه نعيم وهو يحمل صرته . . . فيما يبقى خضير على خشبة المسرح وهو ما زال ساندأ برأسه إلى النخلة . . . الإنارة تبدأ بالخفوت التدريجي وتصل إلى حد معين يترأى لنا في خلالها شبح خضير، فيما يتم إنارة نافذة شمس . . . النافذة تفتح لتطل من خلالها شمس .  
شمس : (بدلال) أنت ثانية؟  
خضير : (رافعاً رأسه بفرح) أجل أنا يا شمس ثانية . . . وثالثة . . . وعاشرة . . . وألفاً . . . ومليوناً . . . أنا باق أنتظر . . . أنا خضير العظيم . . . ألم أقل لك ذلك من قبل؟  
شمس : (تضحك باستهزاء) العظيم!  
خضير : أما زلت تهزئين بي؟  
شمس : وما قيمة استهزائي بمن باعته أذرع أهله ككسرة خبز لأفواه الغرباء؟ هل يعادل استهزاء صلافتهم أو يوازونها؟  
خضير : (بالم) الخيانة يا شمس . . .  
شمس : يا لمهزلة الأيام .  
خضير : (وهو يضع يده على خده ويجلس القرفصاء عند جذع النخلة) لقد آلتيني كثيراً يا شمس .  
شمس : بالألم وحده أستطيع أن أميزك من بين الرجال . . . إنك حينما تأتي من بعيد تسبقك رائحته، فتطهر روحي من أدرانها . . . لقد منحوك ما لم يعرفوا قيمته .  
خضير : (يقف ضاحكاً) قد لا تعجبهم رائحة الشواء المنبعثة من أجسادنا!  
شمس : (تتحسس جسدها بذعر) الشواء؟ . . . آه . . . آه . . . (تصرخ ومن ثم تخفض صوتها وتسند ذقنها إلى حافة النافذة، وتردد بصوت يميل إلى البكاء) لقد أحرقوا جسدي يا خضير، وسرقوا نصارة التفاح المزروعة فيه . . . (وهي تتشمم ذراعها) الشواء . . . الشواء يفوح من كل مكان . . . ألا تشتم رائحته المنبعثة من جسدي؟  
خضير : دعني ولو للحظة، أبذر الخضرة في حقولك من جديد . . . انتظريني يا شمس أنا قادم إليك .  
شمس : قادم؟ كيف والشظية؟  
خضير : «يتحسس صدره» آه الشظية؟ سأنتزعها . (يتسلق النخلة لكنه يصطدم بالشظية ويسقط على الأرض ويصرخ) شمس . . . شمس . . . شمس أنا قادم يا شمس .

عباس : ذراعاك؟ ستغرق من دونهما . . . وتصبح طعاماً  
لسمك البحر الذي كان يخشاك .  
نعيم : (يضحك) سأغرق . . . ولعل حورية البحر تصادفني  
فتتزوج .

عباس : لا حورية في بحر تكاثرت فيه أسماك القرش .  
نعيم : أنا ميت يا عباس .  
عباس : شيع هذا الذي مات في صدرك واقبره وعد إلينا كما  
عرفناك .

نعيم : سأرحل . . . أرحل . . . أرحل .  
(يظهر من عمق المسرح خضير صارخاً)  
خضير : ولن تترك بعدك الشظية يا نعيم؟  
(يطلق نعيم برأسه إلى الأرض فيما يمسك عباس صدره)  
عباس : آه . . . إنها تؤلني .  
خضير : النخلة يا نعيم، لا تمنح اسمها للراجلين عنها . .  
(وهو يشير بيده بزهو للنخلة) أنظر . . أنظر كيف إنها مليئة  
بالنجوم . .

عباس : (بإعجاب) ياه . . . ما أجمل أن يصبح الإنسان نجمة  
في تلك الثريا .  
نعيم : أنا لا أريد التعلق بجسور لا أراها .  
عباس : لكنها الطريق إلى الثريا .  
خضير : الجسور لا تمد ذراعيها للراجلين . . يا لك من  
أعمى . . ألا تراها كيف تسط كفها وتدعونا للصعود نجوماً  
لثريا النخلة .

عباس : (متمنياً) كم أشتاق للصعود نجمةً إلى هناك . . . (إلى  
نعيم) ألا يخجلك هذا الصعود فيما أنت متمسك بصرة بالية  
ومشددود للوهم بخيط غليظ؟ . . ألا ترى هذه النجوم المشعة  
المتوهجة؟

عباس : (متمنياً) كم أشتاق للصعود نجمةً إلى هناك . . . (إلى  
نعيم) ألا يخجلك هذا الصعود فيما أنت متمسك بصرة بالية  
ومشددود للوهم بخيط غليظ؟ . . ألا ترى هذه النجوم المشعة  
المتوهجة؟

ذاك جعفرأ . . . وتلك بهيجة الخياطة . . . وفريال ونعيمة ،  
وتسواهن ، وقصي . . . وأطفال العامرية . . . آه . . . يا  
لوجعي الرهيب . . .  
خضير : وشمس . . شمس هناك ما زالت خلف هذه  
النافذة . . . تنتظر الدواء . . سأصعد إليها . . أجل  
سأصعد . . (ينادي . .) شمس . . شمس . . . .

(إظلام جزئي . . . ينسحب من خلاله عباس ونعيم ، ويضاء  
شباك شمس فيما تواصل نداءات خضير على شمس) .

شمس : (تفتح النافذة وتطل عليه) أما زلت هنا؟  
خضير : وهل تغادر الجذور أعماقها؟  
شمس : والرماد الذي تذرره الريح على أبوابنا كلمما  
هبت . . . ماذا تفعل به؟  
خضير : إنه زائل .

شمس : سأغزل من خصلات شعري رداءً لجذور هذه النخلة  
حتى أمنع البرد عنها ، وكلما حاولت النار أن تلتهم رداءً أعود  
لأغزل لها رداءً جديداً آخر .

خضير : ابدئي بغزل الرداء يا شمس . . !!  
شمس : سأرصعه بفضة شعري .  
خضير : لتغزلي يا بهيجة ثوباً لجسر الأحرار ولتنزعي عن  
الجوامع والكنايس رماد العدوان .  
شمس : (صارخة ، وهي تمسك برأسها)؟ آه . . أين  
الدواء؟ . هاتوا الدواء .

(مؤثر لأصوات طائرات غائرة ، فيما يتعالى صراخ شمس)  
أين الدواء؟ . هات الدواء يا خضير . . أين الدواء؟ . أين  
الدواء؟ . (تختفي من النافذة ، وتطفأ إنارتها) .  
خضير : (متشبثاً بالنخلة يحاول الصعود) انتظري . .

انتظريني يا شمس . . شمس . . شمس . . .  
(يصطدم بالشظية ، ويسقط على الأرض فيما نشاهد يديه وقد  
تخضبت بالدماء وهو ما زال يصرخ) شمس . . شمس . . .

- إظلام -

## المنشهد الرابع

المسرح مظلم تماماً ، فيما تأتينا أصوات قصف ومرور  
طائرات ، وبكاء أطفال ، وعويل نساء ، ونباح كلب صغير  
مبحوح الصوت . . ثم يهبط السكون تدريجياً ، ومع هبوط  
السكون تبدأ الإنارة بالارتفاع . . فنرى نعيماً وهو يدور حول  
النخلة مذعوراً وينادي .

نعيم : عباس . . عباس . . أين أنت يا عباس؟ . . ألا  
تسمعني . . أجبني أين أنت؟  
(يأتيه صوت عباس)  
صوت عباس : أنا هنا يا نعيم .

نعيم : (لا زال يبحث) أين أنت؟ إنني لا أراك .  
صوت عباس : إرفع رأسك إلى الأعلى وستراني .  
نعيم : (وهو يرفع رأسه) أين أنت؟  
صوت عباس : أنا في الثريا يا نعيم ، لقد أصبحت نجمة في الثريا .  
نعيم : والشظية يا عباس؟  
صوت عباس : (بصوت عال) آه . . إنها ما زالت تؤلم صدري .  
نعيم : الويل لك . . لماذا ذهبت وتركتني وحدي؟  
صوت عباس : لم أتركك لوحديك . . بل تركت لك إرثاً .  
نعيم : الإرث محبتك يا عباس .  
صوت عباس : إياك والتفريط به يا نعيم .  
نعيم : لماذا لم تأخذني معك؟ . . أليس أنت الذي منعي من الرحيل إلى البحر؟  
صوت عباس : لم أذهب بعيداً عنك . . ستراني كلما رفعت رأسك إلى هامة النخلة .  
نعيم : طيب . . أتأذن لي بالرحيل الآن؟  
صوت عباس : إياك أن تفعل ذلك .  
نعيم : ولماذا لا أفعل؟  
صوت عباس : الآن أحتاج لبقائك أكثر من أي وقت مضى .  
نعيم : كيف وأنت هناك؟  
صوت عباس : الشظية يا نعيم ، ما زالت تؤلمني .  
نعيم : الشظية؟ آه كم أكره هذه الشظية .  
صوت عباس : لقد أكلتها جمره قلب النخلة يا نعيم . .  
حركها . . . حركها وستسقط .  
نعيم : متى يا عباس؟  
صوت عباس : عليك بظل النخلة يا نعيم . . وستدرك ما أفصده .  
نعيم : أرحوك . . . دعني أرحل . . . أريد أن أرحل .  
يظهر كالعادة خضير من عمق المسرح  
خضير : (صارخاً فيه) لا . . . لن أدعك ترحل قبل أن ترحل هذه الشظية عن جذع النخلة .  
نعيم : (يتلمس الشظية) قلت لكم إنها لن تترك النخلة إلا بعد أن تراها راماداً .  
خضير : (صارخاً فيه) اصمت . . اصمت . . (ثم يصرخ

عالياً وهو يرفع برأسه إلى الأعلى) اسمع يا عباس . . . لا بداً للشظية وأن تخرج . . أعاهدك أن تخرج . . أجل لا بد وأن تخرج . . . شمس . . . شمس أين أنت يا شمس . . أما زلت تنتظرين الدواء .  
(إظلام جزئي يتسرب من خلاله نعيم . مسقط ضوئي على شباك شمس . خضير وقد تلوثت ملابسه البليضاء بالدخان) .  
خضير : (ينادي) شمس . . شمس . . أين أنت يا شمس؟  
شمس : (وهي تطل برأسها من الشباك) أنا هنا يا خضير ماذا تريد؟  
خضير : أنا خضير العظيم . . لقد عدت يا شمس . (يلتفت حوله بذعر) . الجمر . . الجمر في كل مكان حيث مددت يدي ، وحيثما وضعت قدمي . . . ولكن . . .  
شمس : ولكن ماذا تريد يا خضير؟  
خضير : لقد اعتدت على الاحتراق منذ وقفت أول مُدني على الماء . . . لكن الذي يؤلمني يا شمس أن زارعي الجمر تحت أقدامي هم أبناء جلدتي ودمي ولون ملامحي .  
مؤثر لجوي قنابل وصواريخ وصراخ أطفال .  
شمس : أسمعت يا خضير؟  
خضير : إن هذا الدوي ملتصق في أذني منذ أهدتني الصباحات عناقيدها .  
يرتفع صراخ الأطفال .  
شمس : (باكية) ولدي سمير . . لماذا ذهبت يدك بعيداً عني . . هات يدك لأخرجك من هذا الموج المتلاطم!  
خضير : إنني أشم رائحة شواء .  
نباح كلب صغير مبجوح . . شمس تجهش في البكاء . . .  
وخضير حائر يعرف ماذا يفعل .  
شمس : (ما زالت تبكي) ولدي سمير .  
خضير : لقد ظل الكلب يطوف بين رماد الجثث الهامدة وبين بقع الدم ، حتى استطاع أن يعثر على كتلة الشواء . . استلقى إلى جانبها وأخذ ينوح . . عرفنا أن كتلة اللحم هذه المتفحمة هي سمير .  
شمس : (بلوعة) يا إلهي . . انظر إلى تلك النجمة التي في أعلى النخلة . . إنها تبسم لي . . سمير حبيبي . . هل أنت بخير تغني أغنية عراقية :

الولد نام يما يا يما  
الولد نام يما يا يما  
ردتك أو ردت أهلي وزماني  
الولد نام يما يا يما  
(بعد انتهاءها من الأغنية)  
خضير : لقد ألتيني كثيراً يا شمس .  
شمس : ألمك يصعد إلى أعلى رأسي . . (تصرخ) رأسي . .  
رأسي . . آه . . أين رأسي؟ بل أين الدواء؟ هاتوا الدواء . . .  
أين الدواء . . أين الدواء؟  
خضير : اللعنة على دواء مفقود .  
شمس : أعطني شيئاً من رائحتك لأعصب بها رأسي .  
خضير : بل خذوها كلها .  
شمس : يا ليتهم يدركون ما أنت مانحي؟  
خضير : أحبك يا شمس .  
شمس : الغربان يا خضير .  
خضير : سترحل يا شمس .  
شمس : أين رأسك . . ؟ أنا أخشى على بقايا رأسي . . أه  
رأسي . . الألم يتصاعد . . أين الدواء؟ آه . .  
خضير : (وهو يتسلق النخلة) انتظري يا شمس . . . سأتي  
إليك . . . ها إنني أتسلق النخلة إليك  
(تصطدم يده بالشظية . . . تغرق يده بالدماء يسقط على  
الأرض يصرخ) شمس . . شمس . .  
شمس : (صارخة) ألا ترى إحمرار السماء يلطخ بياض  
قلوبنا؟  
خضير : الصباح أت يا شمس .  
شمس : الغربان . . .  
خضير : الصباح يدفع الغربان بعيداً عن قبعته . . . إنه أت . . .  
شمس : ياه . . . الشظية ، . . متى ستخرج هذه الشظية من  
رأسي؟  
خضير : ستخرج . . . اطمئني ستخرج . . . ألم تقولي من  
قبل إنك رأيت الأفق ينتزعها؟  
شمس : ورأيت النجمات يطوقن جيد النخلة .  
خضير : جسدي يا شمس نور أبيض . . . أسقط منذ قرون  
قشرة الظلام عنه . .  
شمس : لقد أتعبهم وقوفك .

- إظلام -

\* كاتبة فلسطينية شابة تقيم في عمان .